## (( فَرَحُ المنافقين بالقعود عن الجهاد ، ونهيهم عن الخروج معه عليه الصلاة والسلام ونهيه عن الصلاة عليهم والإعجاب بأموالهم وأولادهم ))

## الآيات ( ٨١ ــ ٨٥ )

فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾

فرح المخلَّفون : فرح الذين خلَّفهم الله عن الغزو مع رسوله والمؤمنين به وجهاد أعدائه[1] .

بمقعدهم خلاف رسول الله : بجلوسهم في منازلهم على الخلاف لرسول الله في جلوسه ومقعده : وذلك أن رسول الله ﷺ أمرهم بالنفر إلى جهاد أعداء الله فخالفوا أمره وجلسوا في منازلهم . وقوله : خلاف ، مصدر من قول القائل : خالف فلان فلاناً فهو يخالفه خلافاً ، فلذلك جاء مصدره على تقدير فعال ، كما يقال : قاتله فهو يقاتله قتالاً[2] وقيل إن معنى خلاف رسول الله بعد رسول الله وخروجه[3] ويلاحظ الجناس غير التام بين « المخلّفون » و « خلاف » .

تقاعس المنافقون عن الخروج مع الرسول ﷺ مجاهدين في سبيل الله تعالى فثبّطهم الله تعالى وزادهم كسلاً إلى كسلهم ، والعجيب في أمر هؤلاء المنافقين أنهم يفرحون بما يغمّ الأحرار ويسوؤهم . إنهم يفرحون بسبب قعودهم عن الجهاد في سبيل الله تعالى بعده عليه الصلاة والسلام وعلى الخلاف لأمره عليه الصلاة والسلام وهديه ، وإنهم ليكرهون أن يجاهدوا بأموالهم وبأنفسهم في سبيل الله تعالى بغضاً لدين الإسلام ورفعة شأنه ، وإيثاراً للراحة والدَّعة ونعيم الدنيا السريع الزوال وفراراً من حرارة الجو ومشقة الطريق . بل إن هؤلاء المنافقين الذين خلّفهم الله تعالى عن الجهاد وثبّطهم لينهون الآخرين عن الجهاد في سبيل الله تعالى وعن الخروج في الحر وشدة القيظ .

ولما كان الحر في هذه الحياة الدنيا الذي فرَّ منه المنافقون ليس شيئاً مطلقاً بالقياس إلى حرارة نار جهنم التي تنتظر المنافقين الذين عملوا من أجلها ، بل إن نار الدنيا التي لا تقاس

---

(١) تفسير الطبري ١٠/١٣٩ .

(٢) تفسير الطبري ١٠/١٣٩ ومفردات الراغب الأصفهاني « خلف » ١٥٧ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٢/٣٧٦ والجلالين .

بها أي حرارة ليست شيئاً مطلقاً القياس إلى نار الآخرة فقد روى الإمام مالك والبخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : نار بني آدم التي توقدونها جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم[1] لذلك جاء في هذه الآية الكريمة خطاباً للمصطفى ﷺ ولكل فرد من أفراد الأمة المحمدية القول : ﴿ قل نار جهنّم أشد حرّاً لو كانوا يفقهون ﴾ .

ولما كان فرح المنافقين القليل في الدنيا يرتبط به الضحك القليل وكان حزن المنافقين الكثير في الآخرة يرتبط به البكاء الكثير فقد جاء في الآية الكريمة التنبيه إلى هذه الحقائق وإلى أن هذا العقاب بسبب ما كان يكسب المنافقون في الحياة الأولى من سيئات ويجنون من آثام .

ويلاحظ في الآية الكريمة الطِّباق بين الضحك والبكاء ، والقليل والكثير في القول : ﴿ فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً ﴾ كما يلاحظ ترتيب الضحك القليل والبكاء الكثير وفق ترتيبهما الزمني في الحياتين الأولى والآخرة . ويلاحظ كذلك بشأن الآية الكريمة السابقة الجناس غير التام بين « المخلّفون » و « خلاف » في القول : ﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ﴾ .

فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾

فإن رجعك الله : فإن ردَّك الله يا محمد من غزوتك هذه[2] .

فاقعدوا مع الخالفين : قال ابن عباس : أي الرجال الذين تخلفوا عن الغزاة[3] .

تستمر الآية الكريمة في خطاب المصطفى ﷺ وتنبىء بالغيب في الإشارة إلى عودة المصطفى ﷺ سالماً غانماً من تبوك وإلى وجوده عليه الصلاة والسلام في المدينة طائفة من المنافقين ، والمعروف أن أفراداً منهم عاشوا بعد وفاة المصطفى ﷺ ، وإلى استئذان بعضهم المصطفى ﷺ للخروج معه إلى الغزو . إن الآية الكريمة تأمر المصطفى ﷺ أن يقول للمنافقين المتخلفين سابقاً المستأذنين للخروج مجاهدين لاحقاً : ﴿ لن تخرجوا معي أبداً ولن

(١) تفسير ابن كثير ٢/٣٧٦ .

(٢) تفسير الطبري ١٠/١٤٠ وتفسير ابن كثير ٢/٣٧٨ والجلالين .

(٣) تفسير ابن كثير ٢/٣٧٨ وتفسير الطبري ١٠/١٤١ .

تقاتلوا معي عدواً ﴾ وانظر إلى « لن » التي تفيد النفي على التأبيد في الموضعين ، وانظر إلى الظرف مع الذي لحق به ضمير المتكلم العائد على المصطفى ﷺ . ومما يعمق من دور النفي على التأبيد بشأن الخروج والقتال مع المصطفى ﷺ مجيء لفظ عدو نكرة « عدوّا » لأن التنكير يفيد الكثرة ، والمعنى : لن تقاتلوا معي أي عدو لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمؤمنين .

وتعيّن الآية الكريمة السبب في غضب الله تعالى على المنافقين وغضب رسوله ﷺ . إنهم رضوابالقعود عن الجهاد في سبيل الله تعالى في المرة الأولى التي دعاهم فيها المصطفى ﷺ إلى الجهاد وعيّن لهم فيها للمرة الأولى وجهته إلى تبوك بسبب بعد الشُّقة كي يحسنوا الاستعداد لتلك الغزوة . أما وقد رضي المنافقون بالقعود عن الجهاد أول مرة فليواصلوا قعودهم ورضاهم عن ضلال سعيهم وليقعدوا مع الخالفين عن الجهاد من الرجال اضطراراً ، ومن المنافقين من أمثالهم اختياراً ، ومن الصبيان والنساء الذين لا يجدون حيلة والذين لم يكلفوا بالجهاد .

وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾

**سبب النزول :**

روى البخاري ومسلم وأحمد[1] واللفظ للبخاري[2] « عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لما توفي عبد الله بن أُبَيّ جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفّن فيه أباه فأعطاه . ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، تصلّي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه ، فقال رسول الله ﷺ : إنما خيَّرني الله فقال : استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة ، وسأزيده على السبعين . قال : إنه منافق . قال : فصلى عليه رسول الله ﷺ ، فأنزل الله : ولا تصلِّ على أحدٍ منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » . قال : فما صلى رسول الله ﷺ بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى .

---

(١) انظر أسباب النزول ٢٩٤ وتفسير ابن كثير ٣٧٨/٢ .

(٢) صحيح البخاري ٨٥/٦ .

قال المفسرون : وكُلِّم رسول الله ﷺ فيما فُعِل بعبد الله بن أبيّ فقال : وما يُغْني عنه قميصي وصلاتي من الله ، والله إنّي كنت أرجو أن يُسْلِمَ به ألفٌ من قومه[1] .

عن عثمان رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا فَرَغ من دفن الميت وقف عليه وقال : استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسْأَل . انفرد بإخراجه أبو داود رحمه الله[2] .

خلع رب العزة على حبيبه المصطفى ﷺ صفتين من صفاته العُلَى جل وعلا . قال تعالى[3] : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رءوفٌ رحيم ﴾ فالمصطفى ﷺ رءوفٌ ورحيمٌ بالمؤمنين . وبسبب هذه الرحمة لان للمؤمنين وخفض لهم جناحه عليه الصلاة والسلام . قال تعالى[4] : ﴿ فبما رحمةٍ من الله لنت لهم ولو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكّل على الله . إن الله يحبّ المتوكّلين ﴾ إن المصطفى ﷺ بباعث الرأفة والرحمة يصلي على عبد الله بن أبيّ شيخ المنافقين ، وإن رب العزة لينهى المصطفى ﷺ عن الصلاة على كل منافق وعن الوقوف على قبره لدفنٍ أو زيارة[5] وكأن النبي ﷺ في صلاته على ابن أبيّ قد تجاوز الفاضل بعدم الصلاة إلى المفضول بالصلاة على هذا المنافق . وسبق أن عوتب عليه الصلاة والسلام في هذه السورة الكريمة على إذنه للمنافقين بالقعود عن الجهاد في سبيل الله تعالى كي يتبين الذين صدقوا من الكاذبين ، وفي سورة الأنفال على قبوله الفداء من الأسرى وكان الأولى ضرب أعناق المشركين أسرى بدر .

وتعيّن الآية الكريمة علّة النهي كي يفهمها المؤمنون ويطبقوها في حق كل منافق . قال تعالى : ﴿ إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ .

---

(١) أسباب النزول ٢٩٥ .
(٢) تفسير ابن كثير ٢/٣٨٠ .
(٣) سورة التوبة ١٢٨ .
(٤) سورة آل عمران ١٥٩ .
(٥) الجلالين .

وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

نهت الآية الكريمة السابقة النبي ﷺ عن الصلاة على المنافقين والقيام على قبورهم . وهذه الآية الكريمة تنهاه عليه الصلاة والسلام عن الإعجاب بأموالهم وأولادهم فقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يعذِّبهم بها في الدنيا بما يلقون في جمعها من المتاعب وفيها من المصائب وتخرج أرواحهم وهم كافرون .

ومن البين وجه الشبه الكبير بين الآية الكريمة وبين الآية الكريمة الخامسة والخمسين من السورة .

« أغنياء المنافقين يقعدون عن الجهاد في
حين يجاهد الرسول عليه الصلاة والسلام
والمؤمنون وقبول أعذار الصادقين »
الآيات ( ٨٦ ــ ٩٢ )

وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾

استأذنك أولو الطوْل منهم : استأذنك ذوو الغنى والمال منهم في التخلف عنك والقعود في أهله[1] .

وقالوا ذرنا : وقالوا لك دعنا[2] .

رضوا بأن يكونوا مع الخوالف : جمع خالفة ، أي النساء اللاتي تخلفن في البيوت[3] بعد خروج الجيش[4] واللاتي ليس عليهن فرض الجهاد فهن قعودٌ في منازلهن وبيوتهن[5] .

تقرر الآية الكريمة الأولى أن رب العزة إذا أوحى إلى حبيبه المصطفى ﷺ سورةً من القرآن الكريم وآيات من الذكر الحكيم وفيها الأمر بالإيمان بالله تعالى ربًّا وبالجهاد مع رسوله ﷺ فإن أولي الطَّوْل من المنافقين وذوي الغنى والمال منهم يستأذنون المصطفى ﷺ ويطلبون السماح لهم بعدم الخروج معه عليه الصلاة والسلام إلى الجهاد ويقولون في منتهى الصراحة والوقاحة والقباحة : دعنا أيها الرسول الكريم نكن مع القاعدين عن الجهاد المؤثرين للسلامة المحبين للراحة ضعيفي الهمة قليلي الإيمان !

والآية الكريمة تعيِّرهم وتعيب عليهم أنهم رضوا بأن يقعدوا عن ميادين الرجولة والفحولة والبطولة مع النساء الخوالف في البيوت بعد خروج الجيش لأنهن ليس عليهن فرض الجهاد . وإنما رضي أولئك المنافقون بأن يكونوا مع النساء ومن النساء لأن الله سبحانه وتعالى طبع على قلوبهم وصرفها عن الحق وعن الخير بسبب انصرافها عن الله تعالى أساساً ، وبذلك أعيت تلك القلوب المطبوع عليها ، كل خير ، أن يجد إليها حيلة ، وكل حق ، أن يهتدي إليها سبيلاً . وكانت النتيجة أن القوم لا يفقهون أي خير ولا يهتدون أي سبيل . والعياذ بالله .

---

(١) تفسير الطبري ١٠/١٤٣ .
(٢) تفسير الطبري ١٠/١٤٣ .
(٣) الجلالين وانظر مفردات الراغب الأصفهاني ( خلف ) ١٥٧ .
(٤) تفسير ابن كثير ٢/٣٨٠ .
(٥) تفسير الطبري ١٠/١٤٣ .

لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾

لكن : حرف استدراك وحرّك آخره بالكسرة لالتقاء الساكنين[1] .

يقول تعالى ذكره في الآية الكريمة الأولى : لم يجاهد هؤلاء المنافقون ، الذين اقتصصت قصصهم ، المشركين ، لكن الرسول محمد ﷺ والذين صدقوا الله ورسوله معه هم الذين جاهدوا المشركين بأموالهم وأنفسهم[2] بنفيسهم ونفسهم ابتغاء مرضاة الله تعالى . إن أولئك لهم الخيرات في الدنيا من نصر وفتح وغنيمة وتمكين ، وفي الآخرة بالثواب العظيم في جنات النعيم ، وإن أولئك هم المفلحون الناجحون حقاً .

وفي الآية الكريمة الأخرى يتبين ما أعدَّ الله سبحانه وتعالى لأولئك المجاهدين في سبيل الله تعالى . إن لهم جنات تجري من تحت شجرها الأنهار ، وهم خالدون فيها يتقلبون في نعيمها ، وذلك الفوز العظيم والنجاح الكبير .

وإن التذييل هنا يقذف لأذهاننا بالتذييل المشابه في الآية الكريمة الثانية والسبعين من السورة الكريمة بزيادة هو في القول : ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ إن اسم الضمير « هو » زيد هنالك إشارة إلى زيادة رضوان الله تعالى الكبير في تلك الآية الكريمة . والله أعلم .

وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

وجاء المعذِّرون من الأعراب : وجاء رسولَ الله ﷺ المعتذرون من الأعراب بمعنى المعذورين[3] وأصله : المعتذرون ، فقلبت التاء ذالاً وأدغمت . ويحتمل المعتذرون في هذا

(١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣٥٦/٥ .
(٢) تفسير الطبري ١٤٣/١٠ .
(٣) انظر الجلالين وتفسير ابن عطية ٥٩٥/٦ وتفسير الطبري ١٤٤/١٠ .

القول معنيين ، أحدهما : المعتذرون بأعذار حق ، والآخر أن يكون : الذين قد بلغوا عذرهم من الاجتهاد في طلب الغزو معك فلم يقدروا[1] .

ليؤذن لهم : في التخلف[2] .

تقرر الآية الكريمة أن المعتذرين من الأعراب المعذورين جاءوا إلى المصطفى ﷺ ليؤذن لهم في القعود عن الجهاد بسبب أعذارهم الصادقة . والذي يجعلنا أكثر ميلاً إلى أن المعذرين هم المعتذرون المعذورون جملة جاء التي صُدِّرت بها الآية الكريمة والتي تستعمل في القرآن الكريم دليلاً على القرب والتي تدل على مجيء هؤلاء المعتذرين المعذورين والوصول الفعلي إلى النبي ﷺ والتقائهم به واعتذارهم إليه عليه الصلاة والسلام .

وبقدر حرص هؤلاء الصادقين على المجيء إلى النبي ﷺ يكون قعود المنافقين في المقابل وتعمدهم المزيد من الكسل والإمعان في عدم المبالاة بسبب كذبهم على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ في ادِّعاء الإيمان . إن الكافرين من هؤلاء الكاذبين إذا أصرُّوا على كفرهم ولم يتوبوا إلى الله تعالى سيصيبهم ولا يخطئهم عذاب من الله تعالى أليم وأخذٌ شديد .

لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ
مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾
وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ
مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ
حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾

تنفي أولى الآيتين الكريمتين الإثم بسبب التخلف عن الجهاد في سبيل الله تعالى عن الضعفاء بصفةٍ عامة الذين لا يستطيعون الجهاد أساساً بسبب كبر السن مثلاً ، وعن المرضى . والمعروف أن الضعف لازمٌ وأن المرض قد يكون لازماً وقد يكون عارضاً ولهذا قدَّمت

---

(١) تفسير ابن عطية ٦/٥٩٥ .

(٢) تفسير الطبري ١٠/١٤٤ .

الآية الكريمة الضعفاء في الذكر . وتنفي الآية الكريمة أخيراً الإثم عن الذين لا يجدون ما ينفقون من مال في سبيل الوصول إليك أيها الرسول الكريم كي تحملهم أو في سبيل الوصول إلى ميدان المعركة . ولما كانت النفقة أقل لزوماً من الضعف ومن المرض فقد ينفق على المجاهد آخرون لذا أُخّرت الآية الكريمة في الذكر هذا الصنف الثالث ، ولذا كان في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة حثٌّ على الجهاد بالمال . بل إن الجهاد بالمال يقدم في بعض الأحايين بسبب أهمية المال كما هو الحال في حق الذين لا يجاهدون لأنهم ليس لديهم المال الذي ينفقون منه .

وتشترط الآية الكريمة لنفي الإثم والحرج نصْح هذه الفئات لله ورسوله وحسن طويتهم وصدق نياتهم في انتصار المسلمين . إن هؤلاء حينما ينصحون لله تعالى ولرسوله ﷺ يكونون محسنين بمعنى أنهم ارتقوا إلى مرتبة الإحسان التي بيَّنها الحديث النبوي الشريف بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . وفي حق هؤلاء المحسنين يجيء في الآية الكريمة القول الذي يجري مجرى المثل : ﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾ والمعنى ما على هؤلاء الذين نصحوا لله ورسوله وكانوا قوَّةً معنوية للمؤمنين وخلفوا المجاهدين بخيرٍ في أموالهم وأعراضهم وكانوا صادقي الأعذار في القعود عن الجهاد من سبيلٍ عليهم ولومٍ لهم وعنفٍ بهم .

ويقابَل الإحسان من العباد بالمغفرة والرحمة من رب العباد : ﴿ والله غفورٌ رحيم ﴾ .

وإذا كانت الآية الكريمة وقفت بشأن الفئة الثالثة عند الذين لم يجدوا ما ينفقون كي يصلوا إلى المصطفى ﷺ مثلاً أو إلى ميدان القتال فإن الآية الكريمة التالية تتحدث عن فئة رابعة عذرها الله تعالى تجشمت الصعاب في الإتيان من أماكن بعيدة إلى المصطفى ﷺ تسأله أن يحملها إلى ميدان القتال . إن الآية الكريمة تتحدث عن هذه الفئة بطريقة يخشع لها قلب كل مؤمن وتدمع معها عينه . إن الآية الكريمة تقول : وليس ثمة من حرجٍ أيضاً على أولئك المؤمنين المتقين البكائين الذين إذا ما أتوك أيها الرسول الكريم والنبي العظيم والمجاهد الكبير من أماكن بعيدة لتحملهم على الدواب إلى ميدان القتال قلت لهم أيها الرسول الكريم لا أجد ما أحملكم عليه تولّوا وأدبروا عنك[1] وأعينهم تفيض من الدمع بعد أن امتلأت به من أجل حزنهم أنهم لا يجدون ما ينفقون من مال من أجل حملهم إلى جبهة القتال ومعترك الرجال .

---

(١) تفسير الطبري ١٠/١٤٥ .

وقيل إن الآية الكريمة نزلت في البَكَّائين وكانوا سبعة ، وقد اختلف الرواة في أسمائهم اختلافاً كبيراً ، وإحدى الروايات تقول إنهم مَعْقِل بن يسار ، وصخر بن خُنَيْس ، وعبد الله ابن كعب الأنصاري ، وعُلْبة بن زيد الأنصاري ، وسالم بن عُمَيْر ، وثعلبة بن عَنَمة ، وعبد الله بن مغفَّل . أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا نبي الله ، إن الله عز وجل قد ندبنا إلى الخروج معك ، فاحْمِلْنا على الخِفَاف المرقوعة والنِّعال المخصوفة ، نغزوا معك . فقال : لا أجد ما أحملكم عليه ، فتولّوا وهم يبكون[1] .

جاء في الصحيحين من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال : إن بالمدينة أقواماً ما قطعتم وادياً ولا سرتم سيراً إلا وهم معكم . قالوا : وهم بالمدينة ؟ قال : نعم ، حبسهم العذر[2] .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله رب العالمين .

يوم الاثنين ٤ /٨/١٤١١هـ
الموافق ١٨/٢/١٩٩١م

---

(١) أسباب النزول ٢٩٦ وانظر تفسير ابن كثير ٣٨١/٢ .
(٢) تفسير ابن كثير ٣٨٢/٢ .

# فهرس الموضوعات


| الموضـــــوع | رقم الآيات | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| المقدمـــــة | | ٥ |
| **أولاً : تمام سورة الأنفال** | | ٧ |
| بين يدي التفسير | | ١٥ |
| التفســـير | | ٢٣ |
| توزيع الغنائم وتأييد الله تعالى المؤمنين وخِذْلان الكافرين | ٤١ ـ ٤٤ | ٢٥ |
| بعض شروط النصر ومنها التوكل على الله تعالى | ٤٥ ـ ٤٩ | ٣٥ |
| سنة الله لا تتخلف في عذاب الكافرين وفي عدم زوال النعمة إلا بعد كفرانها | ٥٠ ـ ٥٤ | ٤٥ |
| الكافرون شر الدواب ووجوب وفاء المؤمنين بالعهد وإعداد ما استطاعوا من قوة | ٥٥ ـ ٦٠ | ٥٣ |
| إن مالوا إلى المسالمة فمل إليها ، والله تعالى حسبك ومن اتبعك من المؤمنين ، وحرِّضهم على القتال | ٦١ ـ ٦٦ | ٦١ |
| قَتْلُ أسرى بدرٍ أَوْلَى ، وإحلال الغنائم والفداء وثواب الأَوْفياء وعذاب الخائنين | ٦٧ ـ ٧١ | ٦٩ |
| المؤمنون بعضهم أولياء بعض ، والكافرون بعضهم أولياء بعض ، وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعضٍ في الميراث | ٧٢ ـ ٧٥ | ٧٩ |
| **ثانياً : سورة التوبة حتى نهاية الجزء العاشر** | | ٨٧ |
| بين يدي التفسير | | ١٠٥ |
| التفســـير | | ١٢١ |
| تبرؤٌ من الله ورسوله إلى المشركين الذين عاهدهم المسلمون حتى يؤمنوا ومن استجارك فأجره | ١ ـ ٦ | ١٢٣ |
| لا يرقب المشركون في المؤمنين قرابةً ولا عهداً فإن لم يتوبوا فقاتلوهم كي يميز الخبيث منكم من الطيب | ٧ ـ ١٦ | ١٣٥ |
| ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله إنما يعمرها المؤمنون ولا تستوي سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بالإيمان والجهاد في سبيل الله | ١٧ ـ ٢٢ | ١٤٥ |
| لا تتخذوا الكافرين أولياء وجاهدوا في سبيل الله الذي نصركم في مواطن كثيرة وثبَّت رسوله في حنين ونصركم وتوبوا إلى الله | ٢٣ ـ ٢٧ | ١٥١ |
| لا يقرب المشركون المسجد الحرام وقاتلوا مشركي أهل الكتاب الذين يريدون القضاء على دين الإسلام الذي سيظهره الله على الدين كله | ٢٨ ـ ٣٣ | ١٦١ |

| الموضـــــــوع | رقم الآيات | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| عذاب آكلي أموال الناس بالباطل والصادين عن سبيل الله ومانعي الزكاة ومؤخري الأشهر الحرم والأمر بقتال المشركين ..... | ٣٤ ـ ٣٧ | ١٧٣ |
| إن لم تنفروا للجهاد خفافاً وثقالاً يستبدل الله غيركم وإن لم تنصروا رسوله فالله ناصره كما نصره في الهجرة ..... | ٣٨ ـ ٤١ | ١٨٣ |
| عفو الله تعالى عن النبي ﷺ إذنه للمنافقين في القعود عن الجهاد وبعض صفات المؤمنين وبعض صفات المنافقين ..... | ٤٢ ـ ٤٩ | ١٩١ |
| الحسنة تصيب المؤمنين المتوكلين على الله تسوء المنافقين المبغضين لهم ، والمصيبة تصيب المؤمنين تفرحهم ، وفرح المؤمنين بما يصيبهم في سبيل الله ، وعدم قبول نفقة المنافقين ..... | ٥٠ ـ ٥٧ | ٢٠١ |
| حرص المنافقين على الصدقات ومصارف الصدقات ..... | ٥٨ ـ ٦٠ | ٢١١ |
| من مظاهر إيذاء المنافقين النبي ﷺ وكذبهم ، وحذرهم من فضح ما في قلوبهم ، وكفرهم... | ٦١ ـ ٦٦ | ٢١٧ |
| من صفات المنافقين وعقابهم ومن صفات المؤمنين وثوابهم ..... | ٦٧ ـ ٧٣ | ٢٢٣ |
| المنافقون يحلفون كذباً ، وينقضون عهودهم ، ويسخرون من المؤمنين وعقابهم ..... | ٧٤ ـ ٨٠ | ٢٣٣ |
| فَرَحُ المنافقين بالقعود عن الجهاد ، ونهيهم عن الخروج معه عليه الصلاة والسلام ونهيه عن الصلاة عليهم والإعجاب بأموالهم وأولادهم ..... | ٨١ ـ ٨٥ | ٢٤٣ |
| أغنياء المنافقين يقعدون عن الجهاد في حين يجاهد الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنون ، وقبول أعذار الصادقين ..... | ٨٦ ـ ٩٢ | ٢٥١ |
| فهرست الموضوعات ..... | | ٢٥٨ |